

مراتب العلم

والعمل بالقواعد



لفضيلة الشيخ محمد بن هادي المدخلي

(حفظه الله تعالى)

ليلة الخميس - 16 / ربيع الآخر / 1439 هـ

قالوا: لا، هذا ما هو

طيب بعدين، قيل لهم هذا مفسرٌ ما استطاعوا؛ لأن العقلاء يعرفون أنه إيش؟ ذهبوا يقابلون حينئذ الجرح المفسر بالتعديل، وهذا خلاف ما أطبق عليه علماء الفن، فعلم أن الدعوة هوى، علم أن الدعوة هوى، ماهي تطبيق للعلم، ولا لقواعد العلم فعلى طلبة العلم أن يعرفوا ويضبطوا، فإذا ضبطوا القواعد حاكمونا جميعاً إليها الله أكبر، الآن نحن نقول: قول مالك ضعيف، والراجح قول الشافعي، قول الشافعي ضعيف، والراجح قول أحمد، وقول الجمهور ضعيف، والراجح قول الشافعي، وقول الشافعي وأحمد هنا مثلاً ضعيف، والراجح قول مالك أو أبو حنيفة وهكذا، ماشاء الله الشجاعة برزت حتى مع الائمة هؤلاء الجبال، الذين تبعهم أمة الإسلام، وفي الجملة ماخرجت عن أقوالهم، وما في حكم بين فلان وفلان، فين الشجاعة؟ وفي العلم؟ وفي قواعد العلم؟

وحينئذ تعرفون معشر الأحبة أن العلم هذا محله، وهذا يظهر الصادق الذي تعلم وطبق ماتعلم، ويظهر الجاهل الذي لا علم عنده، ويظهر الأجني عن الصناعة، الذي يردد مثل البيغاء مقلد، هذا لا كلام عليه، ويظهر صاحب الهوى، ومن أعماه هواه فلا حيلة فيه

فالذي أوصيكم به معشر الأحبة وإياي: أن نطبق القواعد العلمية التي أورثناها أئمتنا - رحمهم الله - على الصغيرة والكبير والجليل والحقير، حينئذ تنضبط الأمور، أما إذا كانت المسألة هوى وانتقام فلن ينضبط لنا شيء، وإذا كان كذلك فالعقلاء وأهل العلم العالمون العارفون المحققون ليسوا بأيدينا أبداً، لن يمشوا إلا على القواعد، ولن يطبقوا إلا القواعد، شنا أم أئمتنا

فعليك يا طالب العلم ألا تفضح نفسك، وتظهر أنك من ذوي الجهل والحمافة، أو من أهل التقليد والهوى عياداً بالله من ذلك

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يثبتنا وإياكم جميعاً على الحق والهدى حتى نلقاه، كما أسأله سبحانه أن يورثنا علماً نافعا وفقهاً في الدين، وبصيرة فيه، وأسأله جل في علاه أن يصرف عني وعنكم وعن سائر إخواننا المسلمين في كل مكان مضلات الفتن ماظهر منها وما بطن، أن ربنا لسميع الدعاء، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه بإحسان

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين

أما بعد : فيامعشر الإخوة الكرام ، يامعشر طلبة العلم : إن مراتب العلم ثلاثٌ **المرتبة الأولى** : مرتبة علم اليقين :وعلم اليقين هذه تقوم على أخبار الثقات الصادقين الضابطين الذي تتوفر فيهم شروط القبول عدالة وضبطا

فالعدالة في الدين : إستقامة الدين والمروءة والضبط أن يكون ضابط ومؤتمن في نقله ، فإذا جاء ضبطه مع أمانته في النقل فهذه الأخبار التي تأتي من طرق هؤلاء هي التي تفيد العلم ، قسم الضبط وقسم العدالة ، فالعدالة شيء والضبط شيء ، وقد يكون ضابطا لكنه كذاب فلا ينفعه ذلك وقد يكون صادقا أميناً لكن في حفظه شيء فيقبل منه ، وقد يكون ضعيف الحفظ فينتظر به حتى تأتي ما يجبره فيقبل منه حديثه إذا إنجبر بجابر على ما بينه أهل العلم في هذا

والحاصل أن علم اليقين مقام على الأخبار الصحيحة الثابتة المقبولة ، فهذا هو علم اليقين

والمرتبة الثانية : ماتراه أنت بعينيك من المخبر عنه ، أو نقل إليك من الأشياء ، ثم رأيته أنت بنفسك بعينيك فهذا عين اليقين ، لا تشك في وجوده كما أن المرتبة التي قبل هي علم اليقين لا تشك في ثبوته ، فإذا عاينته لم تشك في وجوده ، فإذا حصلت **المرتبة الثالثة فهي أعلى المراتب** : حق اليقين : وهي أن تعاني الشيء أنت بنفسك ويضربون له مثالا قديم ، وقيسوا عليه أتم ، فالأول كأن يخبرك العدل الصادق بأن أمامك في الطريق نهر وصفه كيت وكيت وكيت ، فأنت تصدقه وتوقن بأن في الطريق التي أنت تسير فيها نهج ولا لا ؟ تصدقه ولا لا ؟ طيب ، فإذا مشيت ووصلت إلى النهر واقتربت منه زادت الثقة ولا لا ؟ فإذا وصلت حافظته ورأيت بعينك ماذا يحصل ؟ عين اليقين ؛ رأيته بأعينك ، فإذا شربت منه وذقت حلاوته وبرودته فهذا هو حق اليقين ، فالعلوم هكذا ، نقلٌ مصدق ، فإذا رأيته أنت بنفسك فهذا علم محقق فإذا باشرته بنفسك وتعلمته وعرفته وطبقته فاليقين في حقاك قد تحقق

ومع هذا كله للأسف ، وبأسفاه ، كثير من طلبة العلم يعاني هذه المسائل على هذا النحو ويأشرونها هو بنفسه ، ويسمع من المشايخ شرحهم لهذا العلوم التي قرأت عليهم ، إما منه أو بغيره وهو يسمع ويبين المشايخ هذا العلم ، ولكن إذا خرج من الدرس وجاءت عاصفة عصفت به ، كأنه لا يتعلم ، فما كأنه إلا من عامة الناس ، مافضل عليهم

وأضرب لكم مثالا من الواقع :باب الجرح والتعديل : ولنكن فيه صرحاء صادقين ، كم يعالج الآن طلاب العلم الجرح والجرح ، ويقرأون في الجرح ، ويحضرون دروس المصطلح في الجرح والتعديل ، وقوانين الرواية ، و...و...و... قل ماشئت ، فإذا جاء أول عاصف مارأيت هؤلاء الذين بالأمس قد دوخوك بكثرة السؤال والكلام والشرح لهم إلا كأنهم عوام تحت الصفر ، ما يعرفون كيف التطبيق مع أنك شرحت ، وبينت ، ومثلت ، وطبقت ، وكأن الفائدة هذه ما وجدت أبدا ، فهذا يدل على ما ؟ على عدم وجود العلم حقيقة

فاليوم نرى ونسمع العجائب في هذا الباب ، واحد يجرح ، وثاني يعدل ، طيب جاءت مرحلة قالوا : الجرح مقدم على التعديل مطلقا ، هو قول حكي عن علماء الجرح ، محكي هذا القول مشهور ، لكن أسمع ما هو هذا الكلام

الكلام : القول بالجرح مقدم مطلقا ، مافي كلمة تفسير ، لاحظوا ، مافي تفسير ، القول بالجرح مقدم مطلقا ولو عارضه ألف معدل ، وهذا موجود مكتوب منشور يرى بالأعين ويقرأ بالألسن ، طيب ، خلاص مشينا ، مع أن هذا الكلام ليس على إطلاقه ، ليس على إطلاقه ، لكن مشينا

جاءت مرحلة أخرى : جاء الجرح فيمن لا يحبون أين يُجرح ، فقالوا : لا بد أن يكون الجرح مقاب التعديل مفسر ! طيب ماشي ، هذا القول والله صحيح ، وهذا هو التحقيق لكنهم قاله هنا ، لماذا ؟ لأنه جاء ماساً جانبهم ، تمام ؟

على الرأس والعين والرحب والسعة وحبا وكرامة ، جاء الجرح مفسر ، قالوا : لا ، يحتاج إلى تفسير ، طيب كيف ؟ أحق يحتاج تفسير ! وشر يحتاج إلى تفسير ! وكذاب يحتاج تفسير ! وخذ من هذا القبيل ، فأنا مأدري بأي لغة يتكلم المتكلم ؟

بالأمس هم يقولون : أحق ، وقولون : هذا جرح مفسر ، اليوم أحققنا ما هو التفسير ، فبأؤهم تجر ، وبأئنا لا تجر ، تمام ؟ طيب ، لا بد من التفسير

جاء الجرح هكذا ، كذاب ، أحق ، شر ، قل ماشئت ، قالوا : هذا ما هو مفسر طيب ، خلاص يقابل بالتعديل ! قالوا هناك لا بد من التفسير ، جاء هنا التفسير ، ما هو أحق ؟ ما هو الكذب ؟ حتى الكذب يأناس يحتاج إلى تفسير ؟

صوتياتهم موجودة بمثل هذا الكلام ، هكذا يقولون ، كذاب يأناس يحتاج إلى تفسير ؟ إيش معنى كذاب ؟ مسجل هذا الكلام ، مسجل منهم هم ، الآن يحتاج كذاب إلى تفسير ؟ ! أحق مسجل منهم هم ، الآن يحتاج أحق إلى تفسير

مأدري إيش أحق عندهم وإيش أحق ؟ إذا كنا نتحدث بلغة عربية واحدة فأحق في القواميس واحد ، وإذا نتحدث بلغة عربية واحدة كذاب في القواميس واحد ، تمام ؟ ماشي